

مدينة شرشال تراث تاريخي عالمي وذاكرة الجزائر

رزاز محمد عبد الصمد

جامعة هواري بومدين - الجزائر

أ.د. تاشريف عبد المالك - جامعة سطيف

الملخص:

المدينة هي النظرة إلى الآتي، هي التقليد الحضاري، و الكتابة على الأرض، و إبقاء الأثر الشاهد على الماضي و الحاضر و المستقبل معا، و بالتالي شهادة التاريخ. و ككل، فالمدينة كائن حي، تتحول، و تتجدد مبانيتها، و تتوسع على ضواحيها، فالعديد من المدن الحديثة نشأت من نواة تاريخية تطورت حسب إرادة الإنسان و عوائق الزمن، و هي نتاج سلسلة من التدخلات و الإنشاءات العمرانية عبر فترات مختلفة، إذ يُعبّر مركزها القديم اليوم عن هويتها، من خلال تراثه المتنوع، و المتكون من عدة مبان شاهدة على التطور العمراني للمدينة، و التي تمثل معالم تاريخية، و أثرية، و فنية و جمالية.

والجزائر كغيرها من بلدان حوض البحر المتوسط، تحتوي على العديد من المدن التاريخية التي شهدت تعاقد حضارات عدة عليها، و من أبرزها مدينة شرشال الساحلية، التي تحوي في طياتها تراثا تاريخيا عالميا، ذو أبعاد عمرانية ومعمارية هامة و مميزة، فهي تحمل ذاكرة الجزائر و عصارة تاريخها القديم. والهدف من هذه الدراسة هو إعطاء صورة حقيقية عن القيمة التاريخية لمدينة شرشال، من خلال دراسة تاريخ نشأتها، و مسار نموها، عبر الحضارات التي عمّرتها و تعاقدت عليها، مع إبراز المعالم الأثرية المعمارية و العمرانية التي تزخر بها، و كيفية استغلالها من أجل تفعيلها في تحقيق التنمية المحلية المستدامة للمدينة، معتمدين في ذلك على المنهجين التاريخي و الوصفي.

الكلمات الأساسية: المدينة، التطور التاريخي، الديناميكية العمرانية، المعالم الأثرية، التنمية المحلية.

مقدمة:

تمثل مدينة شرشال شهادة حية لمختلف مراحل التاريخ، لما شهدته الموقع من توافد مجتمعات عدة و توالي حضارات مختلفة، كونه يوفر مميزات هامة وخصائص عديدة من أجل قيام تجمع سكاني، فمن جهة تعتبر موقعا دفاعيا (موضع يتمثل في المنبسط الضيق الواقع بين البحر و سفح الجبل)، و من جهة أخرى تجاري (الميناء أو المرفأ) حيث شهدت المدينة فترات تحول بدأت بمرحلة ما

قبل التاريخ، حيث تعاقبت على مدينة شرشال عدة شعوب و حضارات، أصبحت تشكل في وقتنا الحاضر آثارا تاريخية و ثقافية. فتاريخ المدينة يعود إلى ما يقارب 400 سنة قبل الميلاد¹، بدأ بالفترة النوميدية (dynastie des numides) إلى فترة ما بعد الاستقلال، مروراً بالفينيقيين، و الرومان، و الونداليين، والبيزنطيين، و الفتوحات العربية الإسلامية، و الهجرات الأندلسية، و العثمانيين و فترة الإستعمار الفرنسي.

2- موقع المدينة:

تقع مدينة شرشال غرب مدينة الجزائر العاصمة، تبعد عنها ب: 100 كلم، كما أنها تبعد عن مدينة تيبازة مركز الولاية ب: 28 كلم. يحدها من الشرق بلديتي تيبازة و الناظور²، و من الجنوب بلديتي سيدي عمار و مناصرة، و من الجنوب الغربي سيدي سميان و من الغرب بلدية سيدي غيلاس، أنظر خريطة رقم (1)³. هي مقر دائرة، يسكنها 34373 نسمة حسب إحصاء⁴ سنة 2008 م، تحتل موقعا جغرافيا وسطيا (الإقليم الشمالي الأوسط للبلاد)، يعبرها الطريق الوطني رقم (11)، (RN11)، الذي يربط بين كامل أجزاء المناطق الساحلية السياحية للولاية.

الخريطة رقم 01: الموقع الجغرافي لبلدية شرشال



المصدر: إعداد الباحث رزاز محمد عبد الصمد بالاعتماد على الصورة الجوية

¹Guide Officiel du Syndication Initiative de Césarée, « Au Pays des Villes d'Or. Une Ancienne Capitale de l'Afrique Latine. CHERCHELL », Imprimerie Minerva, Alger, 1932, Ibidem, p(11).

² PDAU de CHERCHELL, 1997.

³ Ibidem, plus travail du chercheur.

⁴ONS, RGPH, TIPAZA, 2008.

3- تاريخ نشأة مدينة شرشال أو يول أو قيصرية (مدينة الملوك):

كان تواجد الإنسان البربري (les berbères) في شمال إفريقيا من قبل مجيئ الفينيقيين بفترة من الزمن، فالإكتشافات الأولى التي توصل إليها المختصون، تمثلت في أواني و أدوات تعود إلى العهد القرطاجي (punique)، فقد تم إكتشاف أداة قطع (شاقورة) (une hache)⁵، و جزء متبق من بناية يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، في المكان المسمى جوانفيل⁶ (Ilot Joinville) بالقرب من المنارة (le phare)، و هو دليل على تواجد الإنسان في الحقبة القرطاجية (punique) في مدينة شرشال، بالإضافة إلى إكتشاف مصباح (lampe) تحت الأنقاض يعود إلى 600 سنة ق.م، حسب التحاليل التي أجريت عليه⁷.

3.1- الفترة الفينيقية:

كان أول تأسيس لمدينة شرشال في القرن الرابع قبل الميلاد، من طرف الفينيقيين الذين أسسوا مرفأً كبيراً في جزيرة جوانفيل من أجل التجارة والتبادل التجاري في المنطقة، و قد جاء هؤلاء البحارة الفينيقيين من مدينة تسمى تير (Tyr) و هي تقع في جنوب لبنان، ثم أنشئوا أول نواة حضرية على اليابسة. أما التسمية Iol (يول) فتعود إلى الفترة (القرطاجية - الفينيقية) (punique)، قبيل الحروب القرطاجية ضد روما، من أجل السيطرة ومراقبة التجارة في حوض البحر المتوسط، حيث توسعت مساحة المدينة يول آنذاك و بلغت 10 هكتار، حسب المتخصصين في علم الآثار⁸، كما أجزم بعضهم أن هناك مستويات قديمة تحت السطح، تشهد على حضارات و امتدادات عمرانية قديمة، قبل الحضارة الرومانية. و أصل التسمية يول (Iol) جاء من أصل قسمين، الأول (ي) أو (I) و هو أول حرف من كلمة جزيرة (Ilot)، و الثاني (ol) مازال لحد الآن لا يعرف مدلوله.

3.2- الفترة الرومانية:

بعد سقوط قرطاجة في قبضة و حكم الرومان سنة 146 قبل الميلاد، كانت يول (IOL) قبل ذلك الوقت تابعة لمملكة سيفاكس (sifax) الذي كان ملكا

⁵ Monographie de la wilaya de Tipaza, Edition 2010, p1.

⁶ BOUCHAMA, Kamel, « De Iol à Caesarea à...Cherchell (les avatars historiques du cité millénaire), éd : Milles Feuilles, Alger, 2008, pp (43-47).

⁷ ACHIR, Abdelkader et HORRI, Hind, « Caesarea : Architecture Antique Revisitée. Etude du centre Historique et Proposition d'un Plan de Sauvegarde, Mémoire du Diplôme d'état d'Architecture, EPAU, Alger. 1999, P(8).

⁸ Ibidem, pp (43-47).

على الميسايسيليين (messaessyles) في نوميديا الغربية حسب بعض المؤرخين، والبعض الآخر يقول أن يول (IOL) كانت تابعة لمملكة ماسينيسا مالك الماسيليين (massyles)، و أن ابنه ميسيبسا (micipsa) جعل منها مدينة ملكية (cité royale) لبهاؤها و مناخها المعتدل و خيرات أراضيها الخصبة، و ما يثبت هذه الفرضية الثانية هو ذلك الإكتشاف الذي يتمثل في الكتابة و الأحرف الفينيقية (punique) المهداة للملك ميسيبسا ابن ماسينيسا، و ترجمتها هي "المكان الجنائزي المقدس لحي الأحياء ميسيبسا، ملك الماسيل، المرحوم، قائد الجيش و كبير الأمراء".

« Sanctuaire funéraire du vivant des vivants micips, Roi des Massyles, le regretté celui qui dirige la patri, maitre des princes bienveillant »⁹. يعني أن هذا الملك مدفون في يول (IOL) و عاش فيها، و ظلت مدينة يول، مدينة الأمراء إلى غاية سنة 38 قبل الميلاد، أين جعل منها الملك البربري بوخوس الثاني (pocchusII) عاصمة لمملكته. و قد تطورت المدينة في عهده و توفيت سنة 33 قبل الميلاد. و في عام 25 قبل الميلاد عاد يوبا الثاني (JubaII) من روما، أين تربى وسط العائلة الملكية بعد أسره بعد وفاة أبيه يوبا الأول (jubaI)، و أصبح ملكا على موريتانيا القيصرية، و ألحقت نوميديا نهائيا إلى الإمبراطورية الرومانية، وكان عمره 25 سنة، و امتدت مملكته موريتانيا القيصرية من تونس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، و بقيت المدينة يول (IOL) دائما عاصمة للمملكة الموريتانية، غير أن الملك يوبا الثاني (JubaII)، غير اسمها إلى "قيصرية" ردا للجميل لقيصر روما، (كايوس جيلوس سيزار- أو كاتافيانوس) (Caius Julius César Octavianus)¹⁰، و في عام 20 قبل الميلاد، تزوج يوبا الثاني بالأميرة كليوباترا سيليني (cléopatre séléne)، ابنة الملكة كليوباترا ملكة مصر و الملك أنتوان، و كان مهندسا معماريا بارعا و خبيرا في العمران، و ذو ثقافة عالية، و قد وسع عاصمته قيصرية، أنظر خريطة (1)، و جهزها بالبنائات والقصور و الحمامات و المسابح و البنائات الموجهة للخدمات العمومية، و أعطاه هندسة مميزة (خليط من الفن الروماني الإغريقي)، و في عهده كانت قيصرية واحدة من أكبر المدن و المراكز الفنية في حوض المتوسط، بما تحويه من ثروات و كنوز معمارية ذات جمال نادر¹¹، ضاهت مدينة روما.

9 Ibidem, P(50).

10 Guide Officiel du Syndication Initiative de Césarée, Ibidem, PP (11-12).

11 BOUCHAMA, Kamel, Ibid, P (82)

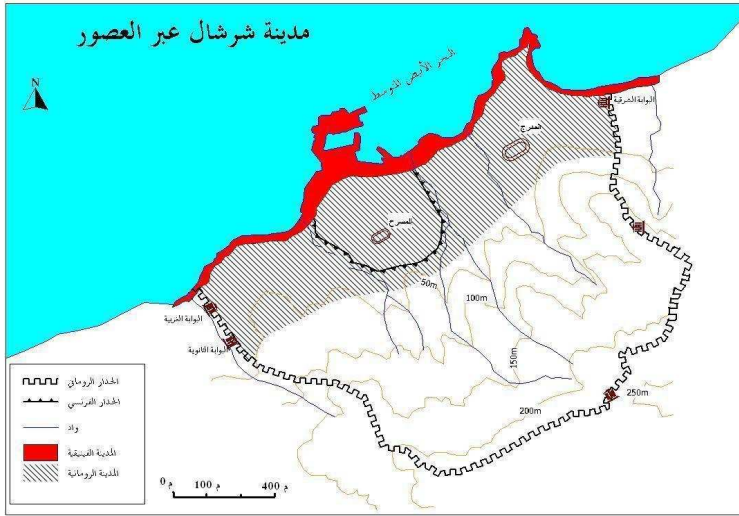
لقد صنع الملك يوبا الثاني من عاصمته مدينة كبيرة و أحاطها بصور، يبلغ طوله ^{1 2} 4,46 كلم، و يضم مساحة قدرها 370 هكتار ^{1 3}، الأكبر من نوعه في الإمبراطورية الرومانية، له ثلاثة أبواب رئيسية، باب الشرق أو الباب التي تؤدي إلى مدينة تيبازة، و باب الغرب أو باب تتس التي تؤدي إلى مدينة تتس، مازالت معالمها شاهدة حتى الآن، و الباب الجنوبية التي تؤدي إلى مدينة مليانة، وهي الآن موجودة داخل محيط الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة، أنظر خريطة رقم(1). كما تحتوي شرشال على أكبر مدرج روماني في الجزائر، والفريد من نوعه في العالم الروماني، (صنف في 20 ديسمبر 1967) ^{1 4}، وعلى حمامات رومانية كحمامات الغرب(صنفت في 20 ديسمبر 1967)، الصورة رقم (1)، و على مسرح فريد من نوعه في حوض البحر المتوسط، إثر التغيير البنائي الذي حوله إلى مدرج (مسرح- مدرج)، (صنف في 20 ديسمبر 1967)، و على قناطر كبيرة سخرت لجلب المياه من منطقة مناصر، بلغ طول القناة أكثر من 40 كم، و أكبر هذه القناطر، قنطرة واد البلاء على بعد 3 كم شرق المدينة (صنفت في 20 ديسمبر 1967)، بلغ طولها 288 م، و ارتفاعها 26 م، تتكون من مستويين، الأول به 26 ركيزة و 25 قوسا، و الثاني به 38 ركيزة و 29 قوسا. صورة رقم (2)، و الفوروم أو وسط المدينة الرومانية (صنف في 30 جوان 1981). و قد أشار مفدي زكريا في "إلياذة الجزائر إلى يوبا الثاني و أثنى على براعته في العمران، و خبرته في المسائل العسكرية، و أنه بنا جامعة كبيرة للعلوم و الآداب و الفنون و قد كانت مركز إشعاع لكل العالم الغربي، كما بنى مكتبة كبيرة، و كان له الشرف أن كان أول من أعد خريطة جغرافية للعالم العربي، و كان يحب المطالعة و التعلم. دامت فترة حكمه لقيصرية ما يقارب نصف قرن (48 سنة)، تاركا وراءه مملكة و عاصمة تضاهي مدينة روما وقتها.

¹² GROUPE CNERU « Exposé des motifs pour la création d'un secteur sauvegardé et l'élaboration du Plan Permanent de Sauvegarde et de Mise en Valeur (PPSMVSS) de la ville de Cherchell », Extrait du PDAU de Cherchell (Révision), Groupe CNERU, Alger, Juin 2005, p (19).

¹³ ACHIR, Abdelkader et HORRI, Hind, « Caesarea : Architecture Antique Revisitée. Etude du centre Historique et Proposition d'un Plan de Sauvegarde, Mémoire du Diplôme d'état d'Architecture, EPAU, Alger. 1999, P(10).

¹⁴ GROUPE CNERU, (PPSMVSS), pp (20-37).

الخريطة رقم(2): التوسع العمراني لمدينة شرشال عبر العصور



المصدر: إعداد الباحث رزاق محمد عبد الصمد

وفي سنة 23 بعد الميلاد خلفه ولده بطليموس (Ptolémée) الذي أراد إتمام المسيرة التي بدأها أبوه، غير أنه لم يدم حكمه لقيصرية كثيرا، حيث دبر له قريبه الملك كاليغولا (caligulla) في روما مكيدة، فاستضافه و قتله في منطقة ليون، و كان ذلك سنة 40 للميلاد. ثم انتهت مملكة بطليموس، و تحولت قيصرية من مملكة إلى مقاطعة تابعة لروما، Province impériales de (Maurétanie)، و في سنة 43 للميلاد قسمت إلى قسمين، القسم الشرقي موريتانيا القيصرية و عاصمتها قيصرية (شرشال)، و القسم الغربي موريتانيا الطنجية (tangitane) و عاصمتها طنجة بالمغرب. و يؤكد المؤرخون أن موريتانيا الرومانية لم تنعم بالسلم الدائم أبدا، إلى أن سقطت الإمبراطورية الرومانية، وذلك من خلال الثورات و الهجمات المتكررة التي قادها رجال المنطقة و أبرزهم تاكفاريناس، و فيرموس¹⁵ (firmus) سنة 372 م بعد الميلاد، الذي شن هجمات على الرومان وأحرق مدينة قيصرية (شرشال) و دمرها، واحتل معها مدينة الجزائر التي كانت تسمى ذلك الوقت إيكوزيوم (ICOCIMUM)¹⁶.

15 BOUCHAMA, Kamel, Ibid, P (89).

16 PASCALI, E, Alger, son histoire et son urbanisme, in Encyclopédie mensuelle d'outre-mer, 1952.



صورة رقم (1) آثار المدينة الرومانية (حمامات الغرب)



صورة رقم (2): القنطرة الرومانية لواد البلاع- شرشال

3.3- الفترة الوندالية و البيزنطية:

بدأ يظهر ضعف الإمبراطورية الرومانية في نهاية القرن الخامس للميلاد، وهذا الضعف سمح لقوى أخرى لغزو مستعمراتها وحتى عاصمتها روما، لما تمتاز به من ثروات زراعية، و تراث عمراني وثقافي و حضاري، و موقعه استراتيجي، ومن بين هذه القوى، الوندال (les wandal) ¹⁷، الذين اجتازوا مضيق جبل طارق سنة 428 م، بقيادة ملكهم (Genseric) (جانسيريك) لاحتلال شمال

17 الوندال شعب ألماني، استعمر ضفاف البحر المتوسط كلها، خاصة في القرن الخامس الميلادي.

إفريقيا، فاحتلوا شمال المغرب والجزائر¹⁸ سنة 429م، ثم اتخذوا مدينة قرطاج عاصمة لهم سنة 439 م. و في سنة 477 م احتلوا مدينة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية و بالتالي فرضوا سيطرتهم على كامل حوض البحر المتوسط. لم تسلم مدينة شرشال (قيصرية) من بطشهم، لقد خربوا بنيانها و دمروا معالمها الحضارية و الصور الذي كان يحميها، و كان ذلك سنة 455 م، و أحدثوا تغييرات على مخططها، و وسّعوها خارج حدود أسوارها. و وجهوا توسعها نحو الضواحي لتتبع المركز و نفاذ المساحات الشاغرة به¹⁹، و كما جاء في الدراسة التي قام بها يوسف شناوي على مدينة شرشال "عرفت مدينة قيصرية العاصمة، في الفترة ما بين القرن الثالث و السادس بعد الميلاد أكبر توسع عمراني لها، حيث شمل العمران كل الجزء الشمالي من المدينة، أما الجزء الداخلي منها كان عبارة عن حدائق و بساتين، و معابد"²⁰. و دامت سيطرة الونداليين على شمال إفريقيا قرابة قرن من الزمن، إلى غاية²¹ سنة 533م، أين هزمهم البيزنطيون، و اتخذوا من قيصرية عاصمة مقاطعة لهم، و مقرا للقيادة العسكرية، كما جاء في كتب المختصين في التاريخ القديم. غير أن السكان المحليين، لم يرضخوا للاحتلال، فقد كانت هناك مقاومات متكررة للدفاع عن أرضهم و أملاكهم، و كما جاء في الدراسة التي قام بها فروخي، م، الخبير في علم الآثار، على مدينة شرشال حيث قال: "لم يفرض البيزنطيون سيطرتهم على البلاد بسهولة و تحكمهم فيها". إلى أن دخل الإسلام شمال إفريقيا، و فتح البلاد و حرّر العباد، و أخرجهم من عبادة الشرك و الأوثان، إلى عبادة الله الواحد الديان، و من وحول الشهوات إلى جنات القربات.

و إثر الزلزال العنيف الذي ضرب المنطقة و تركها خاوية على عروشها، و إثر الحروب المتتالية التي شهدتها، لم تعد لقيصرية (شرشال) تلك المكانة التي كانت عليها، و لم تبق كما كانت بقصورها و ثرائها الفني و العمراني

18 رزاز محمد عبد الصمد، و آخر "التراث العمراني و دوره في صناعة السياحة و تنمية الاقتصاد المحلي، نموذج المركز التاريخي لمدينة الجزائر"، مقال منشور، المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، (23-29) مايو، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010.

19 رزاز محمد عبد الصمد، و آخر "مدينة الجزائر الكبرى و ضاحيتها بين التوسع و الأزمة الحضرية"، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب: المدن الكبرى في الوطن العربي، 20-22 أكتوبر 2003، أبحاث منشورة سنة 2006، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية،

ج 1، ص(49)، مقال منشور.

20 شناوي، يوسف، في كتاب يول قيصرية شرشال، لكمال بوشامة. مصدر سبق ذكره. ص(97).

21 رزاز محمد عبد الصمد، مصدر سبق ذكره.

والحضاري، كما لم تسلم التماثيل والنقوش الفنية التي كانت فيها، من السرقة و التكسيرو النهب^{2 2}.

3-4. الفترة الإسلامية :

وصلت الفتوحات الإسلامية إلى المغرب العربي و شمال إفريقيا عام 647 م، وكما جاء عند المؤرخين، فالسكان البربر لشمال إفريقيا، لم تكن عندهم حساسية في تعلم الدين الإسلامي و نشره و اعتناقه، لأنهم وجدوا فيه حريتهم و راحتهم و عزتهم.

و كما جاء في كتاب (ابن الصديق، ن و فردي، س و لوفو، ف)^{2 3} أنشُر شال كانت آهلة بالسكان في العصور الوسطى، أي ما بين القرن الخامس و القرن العاشر الميلادي، حيث كتبوا: "لقد أنبهر جغرافيو العصور الوسطى بأهمية و قيمة الآثار التي خلفتها المدينة القديمة (قيصرية)، و ركزوا على الفرق الكبير بين المدينة القديمة قيصرية و مدينة العصور الوسطى التي سماها العرب آنذاك شرشال. و الدليل الآخر على وجود العرب و المسلمين في شرشال في العصور الوسطى هو ذاك الاكتشاف المتمثل في المحراب (صنف في 19 أكتوبر 1982)، الذي يعود إلى العهد الفاطمي، الذي تمّ اكتشافه في القرن العشرين تحت الأنقاض. و ضلّت المدينة عامرة تحت حكم المسلمين، و توالى عليها الدولة الزييرية و الدولة الحمادية، ثم الدولة المرابطية تحت قيادة (يوسف بن تاشفين - رحمه الله -) الذي بنى مدينة مراكش سنة 1060م، ثم مدينة فاس سنة 1069م، ثم تقدم نحو الشرق متجها نحو تلمسان فوهران، ثم تنس وشرشال سنة 1082م، فمدينة الجزائر في نفس السنة التي بنى فيها الجامع الكبير، و الذي ما زال عامرا إلى يومنا هذا. و بعد الدولة الحفصية، جاءت الدولة الزيانية سنة 1236 و عاصمتها تلمسان، و التي كانت شرشال تحت حكمها، و ذلك قبل^{2 4} سنة 1300م.

و بعد سقوط غرناطة في 2 جانفي من عام 1492م، و سقوط الدولة الإسلامية

في الأندلس، رجع الآلاف من المسلمين نحو بلاد المغرب، هربا من القتل و التتصير، و استقبلت مدينة شرشال وحدها 1200 عائلة قادمة من الأندلس

22 فروخي، مصطفى، في كتاب، "يول قيصرية شرشال"، مصدر سبق ذكره ص (99).

23 بن الصديق، ن و فردي، س و لوفو، ف، "شرشال"، مطابع وزارة الثقافة، 1983، ص(13).

24 بوشامة، كمال مصدر سبق ذكره ص129.

(غرناطة)²⁵، و بنو فيها حي "عين القصيبة" (صنف في ديسمبر 1999)، الذي مازالت مساكنه إلى يومنا تصارع الزمن و عوامل التعرية، و الذي يوجد أسفل هضبة سيدي يحي و جنوب مسجد الرحمن. يتميز هذا الحي بشوارعه الضيقة، و ممراته المغلقة، أنظر صور رقم (3- 4)، و مساكنه ذات النمط الهندسي الغرناطي (نسبة إلى مساكن غرناطة)، التي تتكون من السقيفة عند المدخل، ثم المراح أو وسط الدار الذي يتوسطه بئر و شجرة، و تحيط بالمراح غرف، و يوجد به سلم يوصل إلى الطابق الأول، ثم إلى السطح، أين تشم نساء الدار الهواء. و من الشواهد الباقية على هذا النمط الهندسي لمنازل غرناطة، منزل "نور الدين سويلمة" و الذي ما زال يحتفظ



صورة رقم (4)



صورة رقم (3)

بطابعه الأصلي، والفرن الذي يدعى "كوشة سليمان"، الذي لم يبق منه إلا الجدران، و حمامين²⁶، بقيا صامدين أمام عوامل القدم و التسيب. أما الأثر الكبير الذي خلفه العرب الأندلسيون عندما عادوا إلى شرشال هو ذاك المسجد الذي يسمى بـ: "مسجد المائة عرصة" (صنف في 19 أكتوبر 1982)، أو "المسجد

²⁵ BOUCHAMA, Kamel, Ibid, p (145).

²⁶ ACHIR, Abdelkader et HORRI, Hind, Ibid, p(77).

الكبير"، الذي بُني سنة 1571م على يد المهندس: أبو عبد الله محمد بن عيَّاض الأندلسي²⁷، و الذي كان والده فقيها و قاضيا في غرناطة، و هو المعروف بـ: "أبي الفضل عياض بن موسى الأندلسي". بُني هذا المسجد في قلب مدينة شرشال وسط تجمع سكاني "بحي القصبة" و هو يُعد نواة المدينة الإسلامية، للدور الفعّال الذي يؤديه²⁸. كما تجدر الإشارة أنه في سنة 1518م، قدم القائد "بابا عروج بربروس" إلى مدينة شرشال، و أمر ببناء برجين²⁹ واحد في الجزيرة في الموضع الذي بنيت فيه المنارة لعد أن دُمّر، و الثاني في المرتفع المقابل للميناء (الجزء المطل مباشرة على الميناء من ساحة الشهداء)، لمراقبة ميناء المدينة والواجهة البحرية لها، ، غير أنه دُمّر أيضا في الحرب العالمية الثانية ، لكي لا يبقى أثر للتواجد العثماني في شرشال، و هو البرج الوحيد في كامل منطقة العاصمة و إقليمها الذي كُتب عليه اسم "عروج بن يعقوب، أحد الإخوة بربروس، على لافتة معلقة به، و هي محفوظة في متحف شرشال، كتب عليها: "باسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله أجمعين، هذا برج شرشال، صنعه القائد محمود بن فارس الزكي، تحت حكم الأمير الذي يطيع أوامر الله، عروج بن يعقوب، سنة 1518م"³⁰. كما أن آثار التواجد التركي في شرشال تتمثل في بعض الكلمات و الألفاظ التي أثرت لغة و لهجة الشرشاليين، و في بعض الأطعمة و بعض عادات الطهي، و في بعض الحرف و المهن.

كما تدين مدينة شرشال في حفاظها على عروبته و إسلامها إلى "مول المقام"، الولي الصالح، الدكتور سيدي براهيم الغبريني"، أنظر صور رقم (5)-

(6)، و المرجَّح أنه وُلد في شرشال، لأن والده "سيدي امحمد الغبريني" غادر مدينة الساقية الحمراء في بداية القرن الخامس عشر ليستقر بعدها في مدينة شرشال. تتلمذ سيدي براهيم الغبريني على يد الشيخ سيدي محمد بن علي بهلول بمدينة

27 Bresnier, inscription de la chaire de la grande mosquée de Cherchell in revue africaine n13, opu , 1869, p(240).

28 بوديسة، الزهرة و مسكي، فاطمة "الجامع الكبير بشرشال، دراسة وصفية تحليلية"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994، ص(5).

29 ACHIR, Abdelkader et HORRI, Hind, Ibid, p(15).

30 BOUCHAMA, Kamel, Ibidem, p(167).

مجاغة، التابعة لولاية الشلف حاليا، ثم واصل تعليمه بالجامعة التي أسّسها الشيخ محمد الكتّاني بباب الوادي بالجزائر، ثم أكمل تعليمه ما بعد التدرج



عند الشيخ البكري بالأزهر الشريف بالقاهرة، و هناك تحصل على شهادة الدكتوراه في علوم الديانات، و نال تحصيلا علميا غزيرا، ثم عاد إلى شرشال، لينشر فيها العلم و الدين الحنيف، وبعد وفاته دفن في مقامه بمقبرة آل الغبريني (صنف في 19 أكتوبر 1982).

3-5. الفترة الإستعمارية :

لقد كانت هذه الفترة صعبة جدا على أبناء شرشال و الجزائر ككل، لأن المحتل الفرنسي جاء ليستقر نهائيا في أرضنا. و استنادا لما جاء به المؤرخ " Jean Joseph François Poujoulat " في كتابه « Histoire de saint augustin »، " تاريخ القديس أوقيستيان ": " تمت في سنة 1842 عمليات حفر في مدينة شرشال لإجراء أشغال، فعثروا على تماثيل لآلهة، و بقايا معابد و قصور كبيرة " ³¹، و شرع في بناء المدينة "الفرنسية"، و عندها بدأ اكتشاف المدينة الأثرية التي كانت مغمورة تحت الأطلان. و في نهاية القرن التاسع عشر ³²، تم بناء الكنيسة الكاتدرائية للقديس ليينو Leynaud، و صممت على شكل معبد روماني، على النمط الإغريقي، و قد بنيت بحجارة أخذت من السيرك الروماني لتقليل تكاليف

31 Guide Officiel du Syndication Initiative de Césarée, Ibidem, P(18).

32 Ibidem, P(63).

البناء، و بعد الاستقلال تحولت وظيفتها إلى مسجد، المعروف "بمسجد الرحمن". الصور (7- 8).



صورة (8)



صورة (7)

و في سنة 1881 تم بناء المنارة (le phare)، هذه التحفة الفنية الرائعة التي تُرى من بعيد، و قد بُنيت على أنقاض حصن تركي قديم ³³ (صنف في 30 ديسمبر 1967)، في الجزيرة التي تسمى (جوان فيل) Joinville، بُغية تنمية التجارة وحماية السواحل، و السيطرة على الطرق البحرية. يبلغ ارتفاعها عن اليابسة نحو 26.40 م، و عن مستوى سطح البحر ³⁴ حوالي 37م، و هي عبارة عن برج دائري الشكل، مبني من حجارة مفصلة مستوردة من مرسيليا بفرنسا، و بداخله سلالم من حجارة عمودية على جداره، مصمم من طرف مهندسين من مصلحة الأشغال العمومية الفرنسية، أنظر صورة رقم (9)، و هو مبني فوق قاعدة مربعة الشكل تقع في منطقة أثرية، و نادرا ما نجد منارة من هذا الحجم، على طول سواحل الجزائر. و من أبرز المعالم الكبرى التي أُنجزت في مدينة شرشال أثناء الفترة الإستعمارية، الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة التابعة الآن للجيش الوطني الشعبي، و التي بنيت على إثر القرار المتخذ يوم 28 نوفمبر 1942 القاضي

³³ CHENNAOUI, Youcef, Thèses de magister, La stratification comme valeur de la ville, EPAU, ALGER, 1993.

³⁴ Guide Officiel du Syndication Initiative de Césarée, Ibidem, p(18).

بإنشاء مدرسة تكوين الضباط بشرشال³⁵، لتزويد الجيش الفرنسي بالكوادر و الضباط الذين يُسيِّرون الجيوش الفرنسية في المستقبل، و هي الآن من مكتسبات جيشنا الوطني الشعبي بعد الإستقلال، و تعد من أكبر المدارس العسكرية في البلاد، و ذات بعد إقليمي و دولي، إذ يتخرج منها العديد من الضباط الجزائريين و ضباط دول شقيقة و صديقة.



المبنية للمدينة تمتد من باب الجزائر في الجهة الشرقية المحاذية الآن لمقر فرقة الدرك الوطني، إلى باب تنس (الغرب) غربا، الصورة رقم (13)، بمحاذاة الحمامات الغربية، و من الميناء (المنارة) شمالا إلى الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة جنوبا، و هي مصممة على شكل مخطط دامي (شطرنجي)، بشوارع متوازية و أخرى متعامدة، بناياتها منتظمة، و ذات نوافذ كبيرة تطل إلى الخارج على النمط الأوربي. و من أبرز المعالم العمرانية التي تعود إلى هذه الفترة كذلك، المتحف القومي (صنف في 30 جوان 1981)، أنظر صور (10- 11)، والكنيسة التي تحولت بعد الاستقلال إلى "مسجد الرحمن"، ودار البلدية، بالإضافة إلى بعض المساكن، و بعض البنايات ذات الوظائف العمومية.

35 BOUCHAMA, kamel, Ibidem PP (218-221).



صورة رقم (11)



صورة رقم (10)

6.3- فترة ما بعد الإستقلال:

أخذت مدينة شرشال منذ بداية الستينات، في التوسع خارج حدود الأسوار التي بناها المحتل الفرنسي، بتوسع مخطط تارة، و عشوائي و غير مخطط تارة أخرى، نتيجة النزوح الريفي الكبير نحوها، مما أدى إلى تكثيف المساكن في مركزها، و داخل النسيج القائم، مما ساهم في ظهور المساكن التقليدية و الهشة، إلى غاية بداية الثمانينات³⁶، ثم تلتها مرحلة بناء السكنات الجماعية المخططة، خاصة بعد الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة 1989م، و دمجها مع النسيج القائم، إلى غاية بداية التسعينات. ثم تواصلت عملية بناء السكنات الفردية على طول الطريق الوطني رقم (11)، و التي تمت في أغلب الأحيان دون تخطيط مسبق، و على جهتيه الشرقية و الغربية، غير أن هذه الأخيرة عرفت توسعا عمرانيا أكبر، لطبيعة الملكية العقارية التابعة للخواص، و أصبحت عبارة عن أحياء مرقدية، ذلك ما تطلب بناء بعض التجهيزات الأساسية كبناء المدارس، و غيرها من التجهيزات اللازمة، لتقريب الخدمة العمومية من المواطن، و تلبية طلباته، أنظر الصورة الجوية رقم (1).

³⁶ PDAU de la commune de Cherchell, 2006, pp (13-15).



صورة رقم (13)



صورة رقم (12)

سيدي براهيم الغبريني، والمتحف القومي، والمنارة، والمتحف الجديد،
والحمامات الشرقية والحمامات الغربية، والمقابر الرومانية، والسيرك،
وغيرها....



صورة رقم (15)



صورة رقم (14)

بالإضافة إلى الفضاءات و البنايات ذات الطابع الثقافى مثل ساحة الشهداء،
أنظر صورة رقم (16)، و النشاطات الحرفية و الفنية التي تزخر بها المنطقة،

كصناعة الزرابي، و الطرز (غرزة الحساب و الشبيكة و الفتلة) على الحرير و على القطيفة (الكاراكو و القفطان)، و صناعة الفخار، و صناعة الأواني النحاسية، بالإضافة إلى الفلكلور والمدايح الدينية و القصائد الأندلسية الأصيلة.



4- 2: المقومات الطبيعية: تحتوي منطقة شرشال بحكم موقعها الجغرافي، و تضاريسها، على مناظر طبيعية خلابة، أنظر صورة رقم (17)، و على سواحل جذابة و جميلة، تسحر ببهاؤها عيون الناظرين،



صورة رقم (17) منظر طبيعي

تتخللها خلجان و رؤوس (crique)، أنظر صورة (18)، كما أنها تحتوي على مناطق جبلية رائعة مغطاة بغابات خضراء تحتوي على أنواع حيوانية مختلفة، مثل جبل شنوة، و غابة بني حبيبة و واد البلاع، و غابة سيدي يحي و بولحروز، و على شواطئ فائقة الجمال، بمياهها الزرقاء الأرجوانية، و رمالها الصفراء، و غاباتها الخضراء، والتي ما زالت أغلبها على طبيعتها العذراء، صور (19 - 20)،



صورة رقم (18) شكل ساحلي

بالإضافة إلى (مناخها المتوسطي المتميز، الحار والمشمس صيفا والدافئ والرطب شتاء)³⁸، بمعدل درجة حرارة دنيا 11.6°م سجلت شهر يناير، وأعلىها 24.4°م سجلت شهر أوت. (1998)³⁹. كل هذه المقومات المحفزة و الجذابة، و التي نادرا ما تجتمع في موضع

³⁸ REZZAZ, Mohamed abdessamad et autre « L'Activité Touristique dans la commune de Bejaia, Enjeux et Perspectives », Acte du colloque international sur le tourisme, secteur de l'économie de substitution et de développement durable. Alger, les 12 et 13 avril 2008. P(384).

³⁹ شمس الدين، نعيمة "السياحة في ولاية تيبازة، واقع و آفاق"، مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة أستاذ في التعليم الثانوي، قسم التاريخ و الجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2006، ص(36).



صورة رقم (19) شاطئ

واحد، يمكن لها أن تُكوّن قاعدة و منطلقا، لتطوير أنواع عديدة من السياحة (الشاطئية والجبلية والتاريخية و الثقافية) بالمدينة. و بالرغم من التاريخ العريق، و الماضي المجيد والصفحات المشرقة لمدينة شرشال، والتي مازالت بعض آثارها قائمة، و المتمثلة في بقايا المدن المتطابقة فوق بعضها البعض في مركز المدينة، و كأنها طبقات جيولوجية، كما أشار إلى ذلك العديد من المختصين



صورة رقم (20) شاطئ

في علم الآثار. ورغم ثراء وتنوع مقومات التراث العمراني بها، و التي تحلم أي مدينة بأن تكسب جزءا منها، لكنها لم توظف لخدمة المدينة والمساهمة في ترميمها بالشكل اللائق، من خلال ترميمها و الحفاظ عليها، و استثمارها في خلق صناعة سياحية مستدامة، من شأنها أن تحقق لها تنمية محلية، و توفر مناصب شغل جديدة، و تسهم في بناء تجهيزات جديدة مخططة، (خاصة و أنه في إطار تطبيق عمليات التهيئة السياحية في الجزائر، سعت الدولة إلى تسمية هذه المجالات المستقطبة للسياح بمناطق التوسع و المواقع السياحية (ZEST)، المخصصة تحديدا لإنجاز الهياكل والتجهيزات السياحية، اعتمادا على معيار اختيار التجهيز الملائم في المكان المناسب من أجل ضمان خدمات سياحية متنوعة ذات جودة عالية)⁴⁰، كالمركبات السياحية و هياكل الإيواء والإطعام، و من ثم المساهمة في التوسع العمراني للمدينة، آخذين بعين الاعتبار المحافظة على البيئة، و تفادي التباينات الاجتماعية المجالية⁴¹ التي تنتج عن النمو السريع و غير المراقب للسياحة، وخاصة الخارجية منها، و الآثار التي تتجرع عن دور المستثمرين الخواص والأجانب، والذين لا هم لهم سوى تحقيق أكبر قدر من الأرباح، مهما كانت النتائج.

5. التوصيات:

إن دراسة التراث التاريخي لمدينة شرشال بوعي سياحي، يتضح منها أنها منطقة غنية بمقومات عرض سياحي جاذبة تعتمد على خلفية ثقافية و تاريخية فذة، فالمعالم التاريخية قد أثبتت قطعا أنها تحتل مكان الصدارة بين أقوى وسائل العرض السياحي، لكن و للأسف فهي رغم هذه الامتيازات، تعاني من مظاهر سلبية تعيق و تشل كل محاولات إعادة التنشيط و الاستغلال السياحي، و يعني ذلك التدهور الفيزيائي و البيئي، بالإضافة إلى التهميش الحضري في مجالات عدة. و من أجل خلق صناعة سياحية ترمي و تهدف مباشرة إلى التنمية المحلية المستدامة بشرشال، يجب مراعاة التوصيات التالية:

40 رزاز، محمد عبد الصمد و آخر " السياحة الساحلية في الجزائر بين الحاضر المقلق و المستقبل الواعد، دراسة حالة مدينة زرالدة"، أعمال الملتقى الدولي " الجزائر أمام مواجهة التحديات الجديدة للعمران"، المنعقد أيام 28 و 29 فبراير 2004، مخبر التهيئة العمرانية، جامعة هواري بومدين للعلوم و التكنولوجيا. مقال منشور.

41 غالي نعيم، السياحة و التباينات الاجتماعية المجالية في منطقة الحمامات-نابل، رسالة دكتوراه، مقدمة في قسم الجغرافيا بجامعة منوبة، تونس، 2003، صص (480-492).

- محاولة تخفيف الكثافة السكانية في المدينة، عن طريق ترحيل السكان إلى مناطق أخرى، مثل سكان حي "عين القصيبة".
- التقليل من حركة السيارات داخل مدينة شرشال، واستبدالها بطرق للمشاة، بتدخلها محلات متنوعة للنشاطات التقليدية و التجارية المختلفة.
- إنشاء مرفأ ترفيهي قرب الميناء، يجمع مختلف النشاطات والرياضات البحرية، التي من شأنها استقطاب السياح من مختلف أنحاء العالم، من خلال إقامة المنافسات الدولية.
- الإهتمام أكثر بالصناعات التقليدية، من خلال انتقاء الفروع التي تتناسب مع النسيج العمراني القديم، و المواقع الأثرية، و العمل على تطويرها، وترقيتها، لإسهامها في تحقيق التنمية المحلية، من خلال تنمية النشاط السياحي.
- نقل النشاطات و التجهيزات التي لا تتلاءم مع وظيفة المدينة، و تحويل بعض التجهيزات، لأداء نشاطات ترتبط و تخدم الوظيفة السياحية، التي من شأنها الإسهام في التنشيط الدائم للمنطقة.
- تثمين الإرث الثقافي، من خلال برمجة تظاهرات فلكلورية، التي من شأنها خلق تواصل بين السياح و السكان المحليين.
- وضع إطار خاص يهدف إلى المحافظة على الأماكن و المواقع الأثرية السياحية، و العناية بها، و ترميمها و تجميلها، من أجل ديمومة استغلالها لجلب السياح.
- جمع المعطيات والإحصاءات حول السياحة في شرشال، من أجل تخطيط مستقبلي سليم لها.
- إقامة العديد من المهرجانات والمعارض لجذب أكبر عدد من السياح، سواء من داخل الوطن، أو من خارجه.
- تنمية الوعي الثقافي و الإعلامي السياحي، لدى السكان، عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.
- تشديد الرقابة على الفنادق، و المطاعم، كي تراعي الشروط الصحية والبيئية الضروريتين.
- تشجيع وكالات السفر و السياحة، على تنشيط و ترويج النشاط السياحي بالمنطقة و تفعيله.
- وجوب التعريف والتشهير والترويج السياحي للتراث العمراني التاريخي لمدينة شرشال، في السوق الوطنية والعالمية، من خلال إبراز مقوماتها، لاستقطاب الزوار و تحفيزهم لزيارتها، عن طريق وكالات السفر و السياحة الوطنية

والدولية، ومختلف وسائل الإعلام، وفتح مواقع إخبارية دائمة على شبكة الأنترنت لعرض و إيصال كنوزها السياحية لأكبر عدد من السياح، وتشجيع التوجه السياحي نحو شرشال. La Destination Charchell.

- فتح الاستثمار أمام القطاع الخاص الوطني و الأجنبي، من خلال تقديم تحفيزات و تسهيلات (توفير العقار، إعفاءات كلية أو جزئية من الرسوم الجمركية و الضريبية، توفير المساعدات المالية، و تخفيض الفوائد على القروض)، لترغيبه في الاستثمار في الصناعة السياحية، و هذا من أجل تنمية المنطقة، و التعريف بها أكثر، كما جرى في كثير من دول العالم العربي⁴² كمصر والأردن و سوريا و تونس و المغرب، مع الاستفادة من تجاربهم بغرض تقليص أكبر قدر ممكن من الآثار السلبية التي تنتج عن الصناعة السياحية.

- الإهتمام بحل المشكلات التي تواجه قطاع السياحة، حلا جذريا⁴³، وأهمها (المرافق الأساسية كالفنادق و المطاعم، الخدمات السياحية، مشكلة التلوث بأنواعه، و توفير الاستقرار الأمني).

- وإذ تؤكد المنظمة العالمية للسياحة أن الصدارة في هذه الألفية ستكون للسياحة الثقافية، و بما أن مدينة شرشال لها كل المؤهلات في أن تصبح مركزا حضاريا ثقافيا، إذ تتوفر فيها الركائز الأساسية الثلاث للسياحة، وهي التاريخ، و الثقافة و المناظر السياحية الخلابة، التي يمكن من خلالها أن تؤدي المدينة دورها الثقافي و السياحي، و لأن شرشال في النهاية، تمثل اليوم تاريخ عاصمة ملكية، بفضاء ثقافي، و طابع تاريخي، تحتاجها أي مدينة تطمح إلى لعب دورها الثقافي السياحي، و من هذا المنطلق، يبدو ضروريا، إعادة تثمين و استغلال كل المقومات التي تزخر بها مدينة شرشال، في صناعة سياحة مستدامة، تزيد من نفوذ و تأثير الإشعاع الثقافي لها، و تسهم في تحقيق التنمية المحلية الشاملة بها.

⁴² البكري، فؤادة عبد المنعم "التنمية السياحية في مصر و العالم العربي، الاستراتيجيات- الأهداف.

الأولويات"، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، 2004، ص (186-214).

⁴³ السيسي، ماهر عبد الخالق "صناعة السياحة، (الأساسيات و المبادئ)"، مطابع الولاء الحديثة، مصر، 2003.

المراجع:

المراجع العربية:

1. البكري، فؤادة عبد المنعم "التنمية السياحية في مصر و العالم العربي، الاستراتيجيات-الأهداف - الأولويات"، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، (2004).
2. السيسي، ماهر عبد الخالق "صناعة السياحة، (الأساسيات و المبادئ)"، مطابع الولاء الحديثة، مصر، 2003.
3. بن الصديق، ن و فردي، س و لوفو، ف "شرشال"، مطابع وزارة الثقافة، 1983
4. بوديسة، الزهرة و مسكي، فاطمة "الجامع الكبير بشرشال، دراسة وصفية تحليلية"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994.
5. رزاز محمد عبد الصمد، و آخر "التراث العمراني و دوره في صناعة السياحة و تنمية الاقتصاد المحلي، نموذج المركز التاريخي لمدينة الجزائر"، المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، (23- 29) مايو، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010، مقال منشور.
6. رزاز، محمد عبد الصمد و آخر "السياحة الساحلية في الجزائر بين الحاضر المقلق و المستقبل الواعد، دراسة حالة مدينة زرادلة"، أعمال الملتقى الدولي "الجزائر أمام مواجهة التحديات الجديدة للعمران"، المنعقد أيام 28 و 29 فبراير 2004، مخبر التهيئة العمرانية، جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا. مقال منشور.
7. رزاز محمد عبد الصمد، و آخر "مدينة الجزائر الكبرى و ضاحيتها بين التوسع و الأزمة الحضرية"، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب: المدن الكبرى في الوطن العربي، 20- 22 أكتوبر 2003، الجمعية الجغرافية السعودية، ج (1)، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص (49)، مقال منشور سنة 2006.
8. غالي، نعيم "السياحة و التباينات الاجتماعية المجالية في منطقة الحمامات- نابل"، رسالة دكتوراه في الجغرافيا، قسم الجغرافيا، جامعة منوبة، تونس، 2003.

المراجع غير العربية:

- 1- ACHIR, Abdelkader et HORRI, Hind « Caesarea : Architecture Antique Revisitée. Etude du centre Historique et Proposition d'un Plan de Sauvegarde, Mémoire du Diplôme d'état d'Architecture, EPAU, Alger. 1999.

2- BOUCHAMA, Kamel « De Iol à Caesarea à...Cherchell (les avatars historiques du cité millénaire) », éd : Milles Feuilles, Alger, 2008.

3- BRESNIER, « Inscription de la chaire de la grande mosquée de Cherchell » in revue africaine n 13, opu, 1869.

4- CHENNAOUI, Youcef « La stratification comme valeur de la ville », Thèses de magister EPAU, ALGER, 1993.

5- FERROUKHI, M « Iol-Caesarea l'antique », in « De Iol à Caesarea à ...Cherchell », BOUCHAMA, Kamel.

6-GROUPE CNERU « Exposé des motifs pour la création d'un secteur sauvegardé et l'élaboration du Plan Permanent de Sauvegarde et de Mise en Valeur (PPSMVSS) de la ville de Cherchell », Extrait du PDAU de Cherchell (Révision), Groupe CNERU, Alger, 2005.

7- GROUPE CNERU « PDAU de la commune de Cherchell », 2006.

8- GUIDE Officiel du Syndicat Initiative de Césarée (Cherchell) « Au Pays des Villes d'Or. Une Ancienne Capitale de l'Afrique Latine. CHERCHELL », Imprime Minerva, Alger, 1932.

9- MONOGRAPHIE de la wilaya de Tipaza, Edition 2010.

10- ONS, RGPH, TIPAZA, 2008.

11- PASCALI, E « Alger, son histoire et son urbanisme », in Encyclopédie mensuelle d'outre-mer, 1952.

12- REZZAZ, Mohamed Abdessamad et autre « L'Activité Touristique dans la commune de Bejaia, Enjeux et Perspectives », Acte du colloque international sur le tourisme, secteur de l'économie de substitution et de développement durable. Laboratoire d'Aménagement Urbain, FSTGAT, USTHB. Alger, les 12 et 13 avril 2008.